

القدس:

إسعاد الناشئي.

مخطوطات ومطبوعات

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للإمام أبي حاتم محمد بن حيان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ

صححه محمد أمين أفندي الخانجي بعد قراءة الأصل عنى الشيخ طاهر

الجزائري طبع بمطبعة كردستان العننية بمصر.

سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧.

علم الأخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه أنواع الفضائل كيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها وموضوعه المنكات النفسية من الأمور العادية ومنفعة أن يكون الإنسان كاملاً في أفعاله بحسب إمكانه لتكون أولاه معيلة وأخراه حميدة. وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في بابيه نافع لطلابيه مثل كتاب الذريعة في مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني وتفصيل الشائين له وأدب الدنيا والدين لسنواردي والفوز الصغر لا بن مسكويه وتهديب الأخلاق له أيضاً ومداواة النفوس لابن حزم ورسائل إخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف لا بن زروق والطب الروحاني لنشرآزي ومعظم إحياء علوم الدين للغزالي وبعض فصول الفتوحات المنكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح.

وهذا السفر من أجل التي أحييت في هذه الآونة بمعرفة أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري فجاء الفرع والأصل متساويين في الخاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية الذي وضعه

أستاذنا في فوائد متفرقة في وصف المكتب النافعة الكثيرة التي بطعن عندها قوله: وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للإمام الحافظ الأجل أبي حاتم محمد بن حيان التميمي البستي أحد أفرادها الدرر فوجدته كتاباً من أجل الكتب وأنفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج غنيه العقلاء في أيامهم عنى اختلاف أحوالها وهو من المطالب العالية التي يحرض عليها كل عاقل غير غافل. وليس الرجال بأحق بالاستفادة منه من ربوات الحجال وقد ابتداء كل مط لب بمحدث ثابت يحنق به وابتعه بما قصد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما قاله شعراء الحكماء وحكماء الشعراء وجوى في عبارته على نهج من أوتوا الحظ الأدنى من البيان فيجدر بالعقلاء أن يرضوا أنفسهم في روضتهم مجتنبين من أثمارها ومجتنبين لأزهارها.

المؤلف من جنة العلماء الكثيرين من التأليف الجودين فيما كتبه وكتابه هذا عنى ما نعمم طبع لأول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال ما محصنه:

أبو حاتم محمد بن حيان التميمي العلامة الفاضل المتقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحراً في العلوم سافر ما بين الشاش والإسكندرية وأدرك الأنسة والعناء والأسانيد العالية وكان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبقه إليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن وكانت الرحلة بخراسان من مصنفاته. قال أبو بكر أحمد بن ثابت: ومن الكتب التي تكثر منافعها أن كانت عنى قدر ما ترجمها به واصفها مصنفات أبي حاتم محمد ابن حيان البستي التي ذكرها لي مسعود بن

ناصر السجزي ووقفني على تذكرة بأسمائها ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة وأنا أذكر منها ما استحسنت سوى ما عدلت عنه أو طرحته. فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة أجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب أتباع التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع التابع سبعة عشر جزءاً وكتاب تبع التابع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة أجزاء وكتاب عدل أو هام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء وكتاب عدل حديث الزهري <sup>عشرون</sup> جزءاً وكتاب عدل حديث مالك عشرة أجزاء وكتاب عدل مناقب أبي حنيفة ومثالبه عشرة أجزاء وكتاب عدل ما استند عليه أبو حنيفة عشرة أجزاء وكتاب ما خالف الثوري شعبة ثلاثة أجزاء وكتاب ما انفرد به أهل المدينة من السنة عشرة أجزاء وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء وكتاب ما عند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزءان وكتاب غرائب الأخبار عشرون جزءاً وكتاب ما أغرب الكوفيون ثمانية أجزاء وكتاب أسامي من يعرف بالكنى ثلاثة أجزاء وكتاب كنى من يعرف بالأسماء ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء وكتاب التمييز بين حديث النضر الحمداني والنضر الحزاز جزءان وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث

بين سوار جزءان وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة أجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامي ومكحول الأزدي جزءاً وكتاب موقوف ما رفع عشرة أجزاء وكتاب آداب الرجال جزءان وكتاب ما أسند جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن زيد جزءاً وكتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزءان وكتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان ثلاثة أجزاء وكتاب

مناقب مالك بن أنس جزءان وكتاب مناقب الشافعي جزءان وكتاب المعجم عنى المدين  
عشرة أجزاء وكتاب المقنين من الحجازيين عشرة أجزاء وكتاب المقنين من العراقيين  
عشرون جزءاً وكتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءاً وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة  
جزءان وكتاب وصف المعدل والمعدل جزءان وكتاب مفصل بين حدثنا وأخبرنا جزء  
وكتاب وصف العنوم وأنواعها ثلاثون جزءاً وكتاب الهداية عنى عنم السنن قصد فيه  
إظهار الصناعتين النتين هما صناعة الحديث والفقہ يذكر حديثاً ويترجم له ثم يذكر من  
يتفرد بذلك الحديث ومن مفازيد أي بند هو ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة  
إلى شيخه بما يعرفن نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما في  
ذلك الحديث من الفقه والحكمة فإن عارضه خير ذكره وجمع بينهما وإن تضاد لفظه في  
خير آخر تنظف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خير من صناعة الفقه والحديث معاً  
وهذا من أنبل كتبه وأعزها.

قال أبو بكر الخطيب: سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقنت له: أكل هذه الكتب  
موجودة عندكم ومقدور عليها ببلادكم فقال إنما يوجد منها الشيء اليسير والقر  
الحقير.

قال وكان أبو حاتم بن حيان سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها بما فكان السبب في  
ذهابها مع تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيث والفساد على أهل تلك  
البلاد. قال الخطيب: ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكتر بما النسخ فيتأفس  
فيها أهل العنم ويكتبونها ويجندونها إحراراً لها ولا أحسب المانع مكن ذلك كان إلا قنة

معرفة أهل تلك البلاد بحل العنم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله أعلم.

قال الإمام تاج الإسلام: وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً كتاب التقاسيم والأنواع خمس مجلدات وكتاب روضة لعقلاء وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب مثل كتب الهداية إلى علم السنن من أوله قدر مجتدين وله وهو أشهر من هذه كتبها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان وكتاب صفة الصلاة. وكان من فقهاء الدين وحفظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم جعل داره مدرسة لأصحابه ومسكناً للغرباء الذين يقيمون بها وأهل الحديث والشفقة ولم جرايات يستفقونها داره وفيها الصفة خزانة كتبه في يدي وصي سنها إليه ليذها لمن يريد نسخ شيء منها الصفة من غير أن يخرجها منها. قال الحاكم: أبو حاتم كبير في العنوم وكان يحسد لفضله وتقدمه. وصف لأبي الطيب المصعب كتاباً في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ (أبيري فيه) ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بست بقرب داره اهـ.

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السنن كصاتكح وفيات الأعيان وفوات الزفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون ومع هذا لم يغفل عنه بياقوت وترجمه بما هو أهله. وكم في هذه الأمة من ضاعت ترجمته وغابت عنا أعمالهم بضعف في مدارك أهل بندهم وعقم النفوس في ديارهم وحمد نالهم وهي العلامة المنيزة للمصنحين والصالحين التي كثيراً ما أصبوا بتأثيراتها الضارة.

أنا الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة عنم وأدب وأخلاق قسمه إلى مطالب في أدب النفس ناهزت الحسين مطباً مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء وترك القحة ولزوم التواضع ومجانبة الكبر والتعجب إلى الناس ومداراهم وإفشاء السلام والمزاح المباح والاعتزال عن الناس ومؤاخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتنون ومجانبة الحرص لنعاقل والتعاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطع ولزوم القناعة والتوكل والرضا والعمو وصفة الكرم والثيم والزجر عن قول الوشاة وكتمان السر والنصيحة للتسليين كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحنم عند الذي وإباح جمع المال لتقائم بحقوقه والحث على إقامة المروءات والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث على مطالبة المعالي وإطعام الطعام وإجازة على الضائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية غير ذلك مما يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الأمير والأجير ويغني غناه للرجال والنساء عنى السواء.

يفتح المؤلف كل فصل بمحدث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم أو منثور ينقله بالرواية ومنظومه كنهه مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم أبو حاتم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع والعلم النافع وحسن المأتي ولطف الأداء وقد يورد في أكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة معاً. نسق تأليفه تسبقاً عجيباً لم يخل به من أوله إلى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجم والفائدة آخذة من الحسن والإحسان بنصيب وافر. فجودة الأسلوب التي عرفت بما مصنفات الإفرنج لهدنا تجدها عنى أمهها في الجودين للتأليف في عصور الارتقاء الإسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها.

وإليك الآن مثلاً من عبارة المؤلف تستدل منها على منفعه من الخدق والعمم والبيان. قال أبو حاتم: لا يكون المرء بالمصيب في الأشياء حتى تكون له خيرة بالتجارب والعقل يكون حسن المأخذ في صفوه صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند إدراكه رضي الشئائيل في شبابه ذا الرأي والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوه (خطوة) ثم يجعل نفسه غاية يقف عندها لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلى النقص ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال كما لا تتم الفه رصة إلا بمحضور الأعوان. ومن لم يكن عقنه أغلب خصال الخير أخاف أن يكون حتفه أقرب الأشياء إليه. ورأس العقل المعرفة بما يمكن أن يكون كونه قبل أن يكون والواجب على العاقل أن يجنب أشياء ثلاثة فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يمس العومج: الاستغراق في الضحن وكثرة التني وسوء الثبت. لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطبق ولا يسمى إلا لما يدرك ولا بعد إلا بما يقدر عليه ولا يتفق إلا بقدر ما يستفيد ولا يظن من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ومعرفته رفته ومحضه ولعدوه عدله وبره ولنعامة بشره وتحته ولا يستعين إلا بمن يجب أن يظفر بحاجته ولا يحدث إلا من يرى حديثه ومغنياً إلا أن يغلبه الاضطرار عليه ولا يدعي ما يحسن من العنم لأن فضائل الرجال ليست ما أدعوها ولكن ما نسبها الناس إليهم ولا يبالي ما فاتته من حطام الدنيا مع ما رزق من الحظ في العقل. أنشدني عبد الرحمن ابن محمد المقاتلي:

فمن كان ذا عقل ولم ينك ذا غنى ... يكون كذي رجل وليست له نعل  
ومن كان ذا مال ولم ينك ذا حجي ... يكون كذي نعل وليست له رجل

قال أبو حاتم: كفى بالعاقل فضلاً وإن عدم المال بأن تصرف أعماله إلى الخاسن فتجعل البلاد منه عنماً والمكر عقلاً والهدر بلاغة والحدة ذكاء والعمى صمتاً والعقوبة تأديباً والجرأة عزماً والجبين تأنياً والإسراف جوداً والإمساك تقديراً فلا تكاد ترى عاقلاً ولا موقراً للرؤساء<sup>١</sup> نصحاء للأقران موافياً للإخوان متحزراً من الأعداء غير حاسد للأصحاب ولا مخذاع للأحباب لا يتحرش بالأشوار ولا يخل في الغنى ولا يبشره في الفاقة ولا ينقاد لنهوى ولا يجمع في الغضب ولا يفرح في الولاية ولا يتمنى ما لا يجد ولا يكتب إذا وجد ولا يذخل في دعوى ولا يشارك في مرء ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح أحداً إلا بما فيه لأن من مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للخرية. والعاقل يكرم على غير حال كالأسد يهاب وإن كان رابضاً وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام العاقل وإن كان نزرأ خطوة عظيمة كما أن مقارنة المائم وإن كان نزرأ مصيبة جديلة ومن العقل الشبت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر على جار السوء وجنيس السوء فإن ذلك مما لا يحطيه على ممر الأيام ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمى به لأن من عرف بالدهاء حذر ومن عقل عاقل دفن عقله ما استطاع لأن البذر وإن خفي بالأرض أياماً فإنه لا بد من ظاهر في أوامه وكذلك العاقل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل اهـ.

ومن الحكايات التي ساقها قوله: سمعت إسحق بن أحمد القطان البغدادي يتسر يقول: كان لنا جار ببغداد نسميه طيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي: دخلت

يوماً على أحمد بن حنبل فإذا هو مغنوم مكروب فقلت: مالك يا أبا عبد الله. قال: خير. قلت: ومع الخير. قال: امتحنت. وبتلك الحنة حتى ضربت ثم عاجلوني وبرأت إلا أنه بقي في صلبني موضع يوجعني هو أشد عليّ من ذلك الضرب. قال: قلت اكشف لي عن صلبك. قال: فكشف لي فتم أر فيه إلا أثر الضرب فقلت: ليس لي بندي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال: فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له: ادخل الحبس في حاجة قال: أدخل فدخلت وجمعت فتياهم وكان معي دريهمات فرقها عليهم وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ثم قلت: من منكم ضرب أكثر قال: فقلت له اسالك عن شيء فقال: هات فقلت: شيخ ضعيف ليست صناعته كصناعكم ضرب على الجوع والقتل سياتاً يسيرة إلا أنه لم يميت وعاجلوه وبرأ إلا أن مواضعاً في صلبه يوجعه وجمعاً ليس عليه صبر قال: فضحك فقلت: مالك قال: الذي عاجله كان حائكاً. قلت: أيش الخبر. قال: ترك في صلبه قطعة لحم ميت لم يقلعها قلت: فما الحينة قال: يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتله. قال: فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد بن حنبل فوجدته على حاله فقصصت عليه القصة. قال: ومن يبطه. قلت: أنا. قال: أو تفعل قلت: نعم قال: فقام فدخل البيت ثم خرج ويده <sup>مجلد</sup>تان وعنى كفه فوطه فوضع أحدهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشف الفوطه عن صلبه وقلت ارني موضع الوجع فقال: ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به فوضعت إصبعي وقلت: ها هنا موضع الوجع. قال: ها هنا أسأل الله العافية قال: مهنا قال: ها هنا أحمد الله على العافية فقلت: ها هنا قال: ها هنا أسأل الله العافية قال: فعلت أنه موضع الوجع قال: فوضعت المضع عليه فننا أحس

بحرارة البضع وضع يده على رأسه وجعل يقول: اللهم اغفر للمعتصم حتى ببطته فأخذت القطعة الميتة ورميت بها وشدت العصابة عليه وهو لا يزال على قوله اللهم اغفر للمعتصم. قال: ثم هدأ وسكن ثم قال: كأني كنت معلقاً فأصدرت قلت: يا أبا عبد الله إن الناس امتحنوا محنة دعوا على من ظنهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال: إني فكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرمت أن آتي يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومة هو مني في حل أم.

ومن أجل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى المخزومي ابنه قال: أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال: يا بني عليك بتقوى الله وطاعته، وتجنب محارمه بإتباع سنته ومعالجه، حتى تصح عيوبك، وتقر عينك، فإنها لا تحفى على الله خافية، وإني قد سمعت لك رسماً، ووضعت لك رسماً، إن أنت حفظته ووعيته وهمت به ملأت عيون الناس، وإنقاد لك به الصعوك، ولم تزل مرتجياً مشرفاً يحتاج إليك، ويرغب إلى ما في يديك، فأطع أباك، واقتصر على وصية أبيك، وفرغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولبك، وإياك وهذر الكلام، وكثر الضحك والمزاح، ومهازلة الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء، ويوقع الشحناء، وعينك بالرزائنة، والتوقر من غير كبير يوصف منك، ولا خيلاء تحكي عنك، والن صديقك وعلوك بوجه الرضى، وكف الأذى، من غير ذلة لهم، ولا هية منهم، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فإن خير الأمور أوسطها، وقلل الكلام، وافش السلام، وامش متمكناً قاصداً ولا تخط برجلك، ولا تحب ذينك ولا تنو عنقك ولا رداءك، ولا تنظر

في عطفك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات. ولا تتخذ السوق مجنساً ولا الحوانيت متحدثاً. ولا تكثر المراء. ولا تنازع السفهاء. فإن تكلمت اختصر. وإن مزحت فاقصر. وإذا جلست فتربع. وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها. والعبث بنفحتك وخاتمك. وذؤابة سيفك. وتخيل أسنانك. وإدخال يدك في أنفك. وكثرة طرد الذباب عنك. وكثرة الثأوب والتنطبي. وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك. ويفتزون به فيك. وليكن مجلسك هادياً. وحديثك مقسوماً. واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار عجب منك. ولا مسألة إعادة. وأغص عن الفكاهات. من المضاحك والحكايات. ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك. ولا عن فرسك ولا عن سيفك. وإياك وأحاديث الرؤيا فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام واغتمزوا في عقنك ولا تصنع تصنع المرأة. ولا تبذل تبذل العبد. ولا تنهب لحيتك ولا تبطنها، توقى كثرة الحنق. ونف الشيب، وكثرة الكحل، والإسراف في الدهن وليكن كحكك غياً، ولا تنح في الحاجات، ولا تخشع في الطببات، ولا تعلم أهنك وولدك فضلاً عن غيرهم عدد مالك، فإنه إن رأوه قليلاً هنت عليهم. وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم، وأخفهم في غير عنف، ولن لهم في غير ضعف، ولا تمازل أمتك، وإذا خاصمت فتوقر. وتحفظ من جهنك، وتجنب من عجلتك، وتفكر في حجك، وأري الحاكم شيئاً من حسنك ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تجفل عنى ركبتيك، وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين، وغن سفه عينك فاحلم. وإذا هدا غضبك فكنم، وأكرم عرضك، وألق الفضول عنك، وإن قربك سلطان، فكن منه عنى حد السنان، وإن استرسل إليك، فلا تامن انقلابه عينك، وأرفق به رفقك بالصبي، وكنه بما تشتهي، ولا يحملك ما ترى

من الطافه إياك. وخاصته بك، إن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه، وإن كان لذلك منك مستعاً، وللقول منك مطيعاً، فإن سقطت الداخل بين الملك وأهله صرعه لا تهض، وزلة لا تقال، وإذا وعدت فحقق، وإذا حالت فأصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الصم، ولا تخافت به كتخافت الأخرس، وتخبر محاسن القول، بالحديث المقبول، وإذا حدثت بسماع فأنبه إلى أهله، وإياك الأحاديث العابرة المشنعة التي ترها القلوب وتقف لها الجنود، وإياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل وعجل وما أشبه ذلك. وإذا توعضت من الطعام، فأجد عرك كفيك، وليكن وضعك الحرض من الأشتان في فيك كفعلك بالسواك، ولا تنزع في الطست، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلاً، ولا تمح فتتضح على أقرب جنسانك، ولا تعض نصف النقمة ثم تعيد ما بقي منها منصغاً فإن ذلك مكروه، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك. ولا تعبت بالمشاش. ولا تعب شيئاً مما يقرب عليه على مائدته بقنة خل أو أتابل أو غسل. فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة. ولا تمسك إمساك المبتور. ولا تبذر تبذير السفية المغرور. واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجون إليك. واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع. والرغبة. كما قرر تدق الرقبة. ورب أكلة تمنع أكالات. والتعفف مال جسيم وخلق كريم. ومعرفة الرجل قدره. يشرف ذكره. ومن تعد القدر. هوى في بعيد العقر. والصدق زين. والكذب شين. ولصديق يسرع عطف صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائلاً. ومعاداة اللئيم. خير من مصادقة الأحمق. ولزوم الكريم على الهوان. خير من صحبة اللئيم على الإحسان. ولقرب منك جواد. خير من مجاورة بحر

طواد. وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه. وطاعة النساء تزري بالعقلاء.

تشبه بأهل العقل تكن منهم. وتصنع لشرف تدركه. واعلم كل امرئ حيث وضع نفسه. وغنا ينسب الصانع إلى صناعته. والمرء يعرف بقريته. وإياك وإخوان السوء. فإنهم يخونون من رافقهم. ويخزون من صادقهم. وقربهم أعدى من الجرب. ورفضهم من استكمال الأدب. واستخفاف المستجير لؤم. والعجلة شؤم. وسوء التدبير وهن. والأخوان اثنان فمحافظك عليك عند البلاء. وصديق لك في الرخاء. فاحفظ صديق البلاء. وتجنب صديق العافية. فإنهم أعدى الأعداء. ومن اتبع الهوى. مال به الردى. ولا يعجبك الجهم من الرجال. ولا تحقر ضئيلاً كالحلال. فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. ولا ينزع به بأكثر من أصغريه. وتوق الفساد. وإن كنت في بلاد الأعادي. ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك أكرم عينك من عرضك.

ولا تكثر الكلام. فتشغل عنى الأقوام. وامتح البشر جنيسك والقبول ممن لا فاك. وإياك كثرة التبريق والتزليق. فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التانيث. وإياك والتصنع لغازلة النساء وكن متقرباً متعزلاً ومنتهزاً في فرصتك رقيقاً في حاجتك. مشتتاً في همتك. والبس لكل دهر ثيابه. ومع كل قوم شكلهم. ولا ترد حتى ترى وجه المصدر. وعينك بالنورة. في كل شهر مرة. وإياك وحلاق الإبط بالنورة. وليكن السؤال من طبيعتك. وإذا استكت (؟) فعرضاً. وعينك بالعمارة. فإنها أنفع التجارة. وعرج الزرع خير من اقتناء الضرع. ومنازعتك النسيم تطعمه فين. ومن أكرم عرضه أكرمه الناس. وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك. ومعرفة الحق من أخلاق الصدق. والرفيق الصالح ابن عم. ومن أيسر

أكبر. ومن افتقر احتقر. قصر في المقالة مخافة الإجابة. والساعي إليك. غالب عنك. وطول السفر ملالة. وكثرة المني ضلالة. وليس لغائب صديق. ولا على الميت شقيق. واجب الشيخ عناء. وتأديب الغلام شقاء. والفاحش أمير. والوقاح وزير. والحنيم مطية الأحمق. والحق داء لا شفاء له والحلم خير وزير. والدين أزين الأمور. والساجدة. سفاهة. والسكران. شيطان. وكلامه هذيان. والشعر. من السحر. والتهدد مجر. والشح شقاء. والشجاعة بقاء. والهدية من الأخلاق السرية. وهي تورث الخيبة. ومن ابتدأ المعروف صار له ديناً. ومن المعروف ابتداء غير مسألة. وصاحب الرياء. يرجع إلى السخاء. ولرياء بخير. خير من معاندة بشر. والعرق نزاع. والعادة طيبة لازمة. إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ومن حل عقداً احتل حقاً. ومراجعة السنطان. خرق بالإنسان. والفرار عار. والتقدم مخاطرة. وأعجل منفعة. أيسار في دعة. وكثرة العنل. من البخل. وشر الرجال. الكثير الاعتلال. وحسن النقاء. يندب بالشحناء. ولين الكلام من أخلاق الكرام.

يا بني إن زوجة الرجل سكنه. ولا عيش لها مع خلافها. فإذا همت بنكاح امرأة فسل عن أهلها فإن العروق الطيبة تنبت الشار الحنوة. واعلم أن الناس اشد اختلافاً من أصابع الكف. فتوق منهم كل ذات بذا. مجبولة على الأذى. فمتنهن المعجبة بنفسها. المزرية بعنها. إن أكرمها لرأته لفضنها عنده. لا تشكر على جميل. ولا ترضى منه بقليل. لسأها عنده سيف صقيل. قد كشف القحة ستر الحياء عن وجهها. فلا تمتحي من إعوارها.

تسحي من جارها. كنية هرارة. مهارشة عقارة. فوجه زوجها مظنوم. وعرضه مشنوم. ولا ترعى عليه لدين ولدنيا. ولا تحفظه لصحه ولا لكثرة بنين. حجابيه مهتوك. وستره منشور. وخيره مدفون. يصبح كثيراً. ويمسي عاتباً. شرابه مر. وطعامه غيظ وولده ضياع. وبيته مستهلك. وثوبه وسخ. ورأسه شعث. إن عحك فواهن. وإن تكلم فكثاره. فهاره ليل. ولينه ويل. تندغه مثل الحية العقارة. وتبسه مثل العقرب الجرارة. ومنهن شفشليق شمشع سفنح ذات سم منقع. وإبراق واختلاق. تهب مع الرياح. وتطير مع كل ذي جناح. إن قال: لا قتنت: نعم وإن قال: نعم وقالت: لا. مولدة لمخازيه. محقرة لما في يديه. تضرب له الأمثال. وتقتصر به دون الرجال. وتقفه من حال إلى حال. حتى قنى بيته. ومل ولده. وغث عيشه. وهانت عليه نفسه. وحتى أنكره أخوانه. ورحمه جيرانه. ومنهن الورهاء الحنقاء. ذات الدال في غير موضعها. الماضغة لنسائها. الأخذة في غير شأنها. قد قنعت بحجة. ورضيت بكعبة. تأكل كالحنار الراتع. تنتشر الشمس ولما يسنع لها صوت. ولم يكنس لها بيت. طعامها بائت. وإنؤها ماضير. وعجينها حامض. وماؤها فاتر. ومتاعها مزروع. وماعونها ممنوع. وخدامها مضروب. وجارها محروب. ومنهن العطوف الودود. المباركة الولود. المأمونة عنى غيبتها. اخبوبة في جيرانها. اخنودة في سرها واعلانها. الكريمة العمل وخيرها دائم. وزوجها ناعم. موموقة مالوفة. وبالغفاف والخيرات موصوفة. جمنك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى. ويأتم بالتقى. ويجتنب السخط ويحب الرضى. والله خليفتي عنيك والمتربى لأمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد بنى الهدى وعنى آله وسلم تسليماً كثيراً اهـ.

هذه أعمودجان من الكتاب والغالب أن للمؤلف مصنفات غير ما ذكر في ترجمته ويؤيد ذلك ما قاله آنفاً مسعود بن ناصر من أن ما أورده من أسماء مؤلفاته هو عدا ما أطرحة منها بيد أن المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب محجة المتبتئين العالم والتعتم الوداع والفراق التوكل مراعاة الأخوان مراعاة العشر. فكم يكون قد قدر جميع ما خطته أنامله يا ترى. وقد علق عليه أستاذنا المتوه بقدره حواشي نافعة وشكل معها الأشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر الجليل وافياً بالفرض من كل جهة حربياً بالمتأدبين أن يتدارسوه ويتنافسوا في اقتنائه لنفاسته طبعه ووضع.

### السياسة الإسلامية

تأليف المسير لشاتليه طبع في باريس سنة ١٩١٠ ص. ١٦٥

### ٢٨

نشر صديقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا مؤلفاً جديداً بهذا الاسم جمعده منحقاً لجنحة العالم الإسلامي الباريزية وقدمه إلى أحد أعضاء مجلس الشورى الدولة الفرنسية فقال فيه إذا كان لفرنسا سياسة ألمانية وسياسة إنكليزية بل وسياسة لاتينية فماذا لا تتخذ لها سياسة إسلامية أمام مجموع العالم الإسلامي فإن مائتي مليون مسلم أحرىء أن يماسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الأوهام الاستعمارية والسياسية.

وتكلم على تاريخ امتداد الإسلام في قارتي آسيا وأفريقية فقال أن شواطئ البحر الأبيض كانت عمالات للمسلمين من الأندلس حتى صقلية وشواطئ أفريقية ولما فتحوا بلاد الروم (بيزانس) وأخذوا بخناق البلقان زاد المسلمون من جهة أخرى ثم تراجعوا فلم يبق

في أوروبا غير ستة ملايين وإن منسي روسية ليتكنوا اللغة الروسية ويتحضرون بالحضارة السلافية ما عدا البوادي منهم وإن كان بعضهم يتسامحون بتعلم اللغة التركية العثمانية وقد احتفظوا بعتائدهم وأخلاقهم. قال: وقد اهتم الألبان الذين كانوا أعظم قوة تحرس عبد الحميد في المدة الأخيرة بانتحال العقيدة البكداشية على حين كان من ألبانيا أن سمعت كل السعي في الانقلاب العثماني الأخير.

وقال أن أحرار العثمانيين ليدعوا إلى وطنية عنصرية يطبقونها على مصنفهم حتى خاب ظن من كانوا يوافقوهم بادئ بدء وقاموا يريدون أن يقوا عثمانيين لا أتراكاً وإن الأحرار أرادوا حياة الإسلام في أوروبا الشرقية بعد أن كان يضحل أمره منها ولكنه عاد وعنيه المسحة الأوربية وذلك لاختلاط أهله بأهل أوروبا فكان من تأثيرات الخيط في هذا الدين أن رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد أحدث الانقلاب العثماني من حيث الاجتماع والعلم فشلاً للدين الخندي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة الحميدية ولكنه ظفر ظفراً ثميناً من حيث السياسة والوطنية فبدأ في صورة جديدة أكثر انطباقاً على الروح الغربية وغدا نفوذه وقوته أكثر مما كانت على العهد الحميدي. ولم يقتصر منبو روسيا في نشوعهم الاجتماعي فأبدوا العواطف التي فرطوا ليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاهى الإسلام بروسيا في قوته الإسلام في الأرض العثمانية فتقوى هناك بمخلصه من العوائق التي كانت تصفه وبإشراك أهله في حركة الشعوب الأوربية وضعف في تقاليدته إلا أنه نشط من عقاله.

وإن المدارس في مدارس أوروبا من السوريين والمصريين والهنود والفرس والأتراك وإن كانوا قلائل في عددهم إلا أنهم أرباب مكانة يعقولهم سعيون إلى الأمة الإسلامية شباهاً.

وعقد فصلاً كبيراً أفاض فيها في شيء من ماضي بلاد الإسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم على السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وأفريقية الغربية وأفريقية الشرقية وآسيا كلاً لم يخرج عن استحسان تلك الطريقة التي اتبعتها فرنسا في الاستعمار وتنقن الأمم الحكومة مدينتها بالقوة والنفوذ ونزع عاداتها وتقاليدها لتجربتها جرعة من الآداب الفرنسية وإن لم تطلقها وفرصة كل من يخفق عنى رأسه عنم الجمهورية. وبحث في المنكحة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند وملي الملايو والروس بلسان اجتماعي ينظر إلى مصلحة قومهم من الوجهة الاستعمارية.

وقال في النتيجة أن الواجب عنى حكومته أن تفتح اعتماداً بعشرين ألف فرنك تقطعها لكثية الجزائر لتعين بها عنى نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره وما ندري كيف يتسنى ذلك بين قوم يقضى عليهم أن ينسوا لغتهم العربية ولا يدرسوها نصف أو ربع الحضارة الحديثة.

ولفت أنظار من قدم له كتابه إلى إصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريس وزيادة العناية بدراسة اللغات الإسلامية أي العربية والفارسية والتركية عنى نحو ما سعت إنكثرا وأصنحت في هذا الشأن كنيي لندرا وأكسفورد وسعت ألمانيا فأصنحت كنية برلين وقال أن الواجب إنشاء نادٍ يأوي إليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كما أنشأت برلين وندرا مثله لهذه الغاية وقال أن اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الإنكليزية بين المكسونيين فينبغي صرف العناية لها. وأحسن ظنه كما هي عادته بارتقاء المسلمين ولاسيما في الشؤون الاقتصادية فقال أن مجموع تجارهم لم

يكن في منتصف القرن التاسع عشر في العالم أكثر من ثروة أفقر أمة أوربية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يعد أن لا ينصف هذا القرن العشرون إلا ويصبح مجموعها خمسين مليار فرنك إلى غير ذلك من الإيضاحات التي تنتفع بها فرنسا وتغيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري. والكتاب محلي بمصورات بلاد الإسلام وبعض رسوم الجوامع والأشخاص والكتابات الإسلامية وهو يدل دلالة واضحة على مبلغ غير المؤلف على مصلحة أمته ودرجة علمه بأحوال المسلمين اليوم وأمس كما هو شهادة ناطقة بأن الإحصاء في فرع من فروع العلم الكثيرة أنفع للعالم وللعالم من الخطف من هنا ومن هناك.

#### النسائيات

مجموعة مقالات في الجريدة في موضوع المرأة المصرية بقلم باحثة البادية.

أو العقينة ملك حنفي ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٧٦.

من نعم الله على مصر أن فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وأنها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارتقاء حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متعلمات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الذكية لم تقصر في ذكاء عقول أبناءها وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بأيدي بنات جسنهن إلى مهيع التقدم وفي رأسهن مؤلفة ما الكتاب العقيلة ملك حنفي ناصف نسبة لو الدها أحد شيوخ العنم في القاهرة أو ملكة باسل نسبة لزوجها. عني بتأديتها والدها فجاءت أدبية بزت الأدياء وكاتبة يقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما أملاه قلبها على لسانها وقدمها في تعليم المرأة على الأسلوب الجامع إلى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة.

وقد طالعنا مات خطه يراعتها في هذا الشأن ولاسيما محاضرتها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكنت فيها كلام العاقبة الحفيضة عن المولودة ودور الطفولة والمراهقة والخطبة والزواج والاقتصاد المالي والمترلي والعمل البيتي والعادات والأخلاق ودور الأمومة. ومحاضرهما التي ألقتهما في نقد عادات النساء وخصتها بقولها لو كان لي حق التشريع لأصدرت اللائحة الآتية:

(المادة الأولى) تعميم البنات الدين الصحيح أي تعميم القرآن والسنة الصحيحة.

(المادة الثانية) تعميم البنات التعيم الابتدائي والثانوي وجعل التعيم الأولي إجبارياً في كل

الطبقات.

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المترلي عنماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الوقتية في الطب.

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمنه وفن التعيم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر.

(المادة الخامسة) إطلاق الحرية في تعيم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد.

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل.

(المادة السابعة) إتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل أن يجتمعا بحضور الحرم.

(المادة الثامنة) إتباع عادة المساء الأترك في الأستانة في الحجاب والخروج.

(المادة التاسعة) المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الإمكان.

(المادة العاشرة) عنى إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا.

طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة أجادت فيه من وراء الغاية لأن أقوالها نتيجة تجارب وخبرة بل هي القانون النافع في إقراض المرأة من كبرها وفي الكتاب مطالب كثيرة في إصلاح المرأة والاعتدال يقرأ من تضعيفه والأدب يقطر من خلاله.

وقد قدم له أحمد لطفي بك السيد مدير الجريدة والكاتب الخطيب العامل مقدمة لطيفة أبان فيها الغرض من هذه الأبحاث فقال لقد أجادت باحثة البادية في جعل بحثها مرتباً عنى هذا النمط المعين فإن الاعتدال في تعميم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم الذي تقف عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كنه أمان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون أقل في سوء الأثر من نتائج همول المرأة وتعودها عن السعي إلى كمالها الخاص. قال أما الدين فإنه ملاك أخلاق المرأة ومناطق آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها. إن تقوى المرأة أكبر الأدلة عنى صوغها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به. إن شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة أصح لقبها من سماع واعظ أخلاقي في الدار

أو في المدرسة سنة كاملة. وإن تقيد المرأة الشرقية لأختها الغربية نافع ولكن هذا التقيد إلى اليوم ليس بحسنة جديدة ما دام أنه خلا من النوع الخاص بالدين. فإن الغربية تذهب إلى معبدها مرة في الأسبوع عنى الأقل في الشهر والمسننة الشرقية لا تذهب إليه في مصر أبداً. كأن دان أقل في الشهر والمسننة لاشرقية لا تذهب إليه في مصر أبداً من سماع

واعظ أخلاقي في الدلار أو من نتائج حمل المرأة وقعودها عن دخول بيت الله أثقل كنفه عليها وأبعد عن رضى وليها من دخول بيوت التجارة وشهودها مسارح النهو. إلا وأن حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير إسراف هو أول عمل حمي تأتيه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة المنشودة. وعلى الجملة فالكتاب من أنفع ما كتب في عصرنا حرياً بكل أنسة وعقيلة بل بكل رب بيت أن يتدارسه ويعمل به فبالأمس قام في مصر المرحوم قاسم بك أمين يحرر المرأة من قيود رقها واليوم قامت ملك ابنة حنفي بك ناصف تبين الخطة العملية فمتى يا ترى يكتب لهذه اللباز أيضاً أن يقوم فيها من بنات حواء من يمعن لإصلاح بنات جنهن على الطريقة الملكية فالكلام يفضل بفضل مصادره وأحسنه ما صدر عن ربات الحسن والإحسان.

### سر العلم والاجتناع

#### العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الإحصاء الذي جرت عادة ديوان الإحصاء في مصر أن ينشره كل سنة فإذا فيه أن مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ٧٣١٣<sup>٨</sup> ١٥٨ جنيهاً ومجموع نفقاتها ١٦٩٠٠٠١٥ جنيهاً وكان دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهاً وخرجها ٧٦٩١٤٢٤ جنيهاً.

وبنغ عدد مدراس الحكومة في هذه السنة المكتبية ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ أستاذاً و١٤٧١٤ تلميذاً منهم ١٤٠٨٧ ذكراً و٦٢٧ أنثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فسها ٢٣٢٩ أستاذاً و٥٢٤٤١ تلميذاً منهم ٤٦٢٩٣ ذكراً وبلغ عدد كتاتيب الحكومة ١٤٤ كتاباً سنة ١٩١٠ فيها ٤٤٩ أستاذاً و١٣٣٦٥ تلميذاً